هوامش

بعدما كان مكاناً للاستقبالات الرسميّة لكبار المسؤولين والرؤساء، سيتحوّل قصر القبة في القاهرة إلى مزارٍ سياحي للجمهور، ومساحة للحفلات الفنية الكبرى، بدءاً من شهر إبريل المقبل

الأميرتان فوزية وفايزة وصاحبة السمو الإمبراطوري الأميرة نسل شاه في اجتماع المرأة الحديثة بقصر القبة عام 1947 (Getty)

قصر القبة

من أروقة السياسة إلى الحفلات الفنيّة

القاهرة ـ **محمد كريم**

بعد تاريخ طويل من الاستقبالات الرسمية لكبار الزوار منذ تشييده على يد الأسرة العلوية مروراً بتأميمه بعد حركة الضباط في يوليو/ تمّوز 1952، سيعود قصر القبة إلى الواجهة مرة أخرى، ولكن بوصفه مزاراً سياحياً للجمهور، ومكاناً تقام فيه الحفلات الفنية الكبرى في إبريل/ نيسان المقبل.

وفقا للوثائق الملكية، فإن الخديوي إسماعيل قرر بناءه سنة 1863 على أطلال منزل قديم لوالده إبراهيم باشا. استغرق بناؤه عدة سنوات إلى أن افتتح رسمياً في يناير/ كانون الثاني 1873 مع حفل زفاف ولي العهد الأمير محمد توفيق، إذ كان الخديوي توفيق أول من سكن فيه.

كانت تحيط بموقع القصر حقول زراعية شاسعة، إضافة إلى بحيرة يقصدها الأثرياء للتنزه والصيد. وقد سمي القصر بضاحية «القبة» التي بني فيها. وبعد بنائه صار أكبر القصور الملكية مساحة، وهو يمتد من محطة مترو سراي القبة حتى محطة كوبري القبة. ويضم المبنى حوالي 400 غرفة، ويشمل الحرملك والسلاملك وأماكن الخدم والمكاتب الخصوصية والمطابخ الملكية. يضم السلاملك عدة حجرات، أهمها جناح نوم الملك وحجرة الطعام والمكتب الخاص ومكتب التشريفات والمتحف. أما الحرملك فيشمل جناح نوم الملكة والأميرات والخدم، ومكتبة ومطابخ وغيرها. كانت في القصر حجرات مهمة أخرى، مثل صالة «الجيمنيزوم» التي كانت مزودة بأجهزة عالمية، وغرفة الآلات الموسيقية اليدوية والأوتوماتيكية، وحجرة التحف التي تحولت بعد الثورة إلى متحف.

أما الحديقة فتحتوي على مجموعة نادرة من الأشجار والنباتات التي ترجع إلى عهد الخديوي إسماعيل، وهي تنقسم إلى الحديقة الخارجية والحديقة الداخلية. فأما الحديقة الخارجية فتبلغ مساحتها 125 فداناً، وقد ضُمت إلى القصر في عهد الملك فاروق بعد أن كانت بساتين تابعة للأوقاف. وأما حديقتها الداخلية فمساحتها 80 فداناً، وهي التي تضم بداخلها الحرملك والسلاملك ومتنزهات الزينة والزهور والنباتات النادرة التي كانت تستورد من أوروبا، وفي وسطها بركة صغيرة للرياضة وملاعب للتنس. وكان الملك فاروق قد شرع بإنشاء حمام سباحة لكن حركة الجيش سنة 1952 حصلت قبل أن يتمه. كما كانت الحديقة تضم أرضاً رملية وحظائر للمواشي والكلاب.

قصر للحكم

أتخذه الملك فؤاد الأول مقرًا لإقامته منذ عام 1925، فاقترن بقصر عابدين وقصر رأس التين بالإسكندرية باعتبارها قصور الحكم. وأمر فؤاد بمجموعة من التغييرات الإنشائية. وفي عصر فاروق أقيمت تعديلات وإنشاءات أخرى. يقول الصائغ محمود الجوهري، في كتابه «قصور وتحف: من محمد علي إلى فاروق»: «أمر الملك فاروق بعمل سور مرتفع حول الحديقة والقصر بلغت نفقاته 20 ألف جنيه، فنشأت في وقت إقامته أزمة طوب في القاهرة، وهدمت جميع المباني القديمة التي كانت تحيط بالقصر من جهة جسر القبة، وتشرد أهلها، وعمليات الهدم والبناء كانت تجري بحضور فاروق شخصياً، وكان محرما على أصحاب الأملاك الواقعة حول هذا القصر أن يرفعوا مبانيهم إلا بمقدارٍ لا يسمح برؤية أي جزء من أجزاء القصر!».

شهد القصر العديد من حفلات الزفاف الخاصة بأمراء وملوك الأسرة، أبرزها حفل زواج الملك فاروق من الملكة فريدة عام 1938. كما شُيِّعَت منه جنازة الملك فؤاد عام 1936. ثم ألقى من داخله الملك فاروق أول خطاب مسجَّل للإذاعة المصرية في 8 مايو/ أيار 1936 بعد عودته من إنكلترا عقب وفاة والده. وبعد ثورة يوليو، استمر دور القصر كما هو باعتباره من قصور الحكم. وحين توفي الرئيس جمال عبد الناصر سجي فيه جثمانه وشيع منه في أول أكتوبر/ تشرين الأول 1970، كذلك كان مقراً لشاه إيران بعد لجوئه إلى مصر على أثر الثورة الإيرانية (1979).

متحف القصر

كان الملك فاروق يحتفظ في القصر بمجموعة نادرة من التحف، وفي كتاب «قصور وتحف: من محمد علي إلى فاروق»، تفاصيل عن ذلك الكم الضخم من التحف الثمينة وصور لبعضها، ومن بينها مجموعات نادرة من النقود والعملات النادرة والطوابع والساعات والمجوهرات وغيرها، ومعظم هذه المقتنيات بيعت في مزاد علني في 1954 حضره الكثير من المهتمين بالتحف الثمينة من الشرق والغرب.

باختصار

كانت تحيط بموقع القصر حقول زراعية شاسعة، إضافة إلى بحيرة يقصدها الأثرياء للتنزه والصيد

■■■

كانت في القصر حجرات مهمة أخرى، مثل صالة «الجيمنيزوم» التي كانت مزودة بأجهزة عالمية، وغرفة الآلات الموسيقية اليدوية والأوتوماتيكية

■■■

الحديقة الخارجية تبلغ مساحتها 125 فداناً، وقد ضُمت إلى القصر في عهد الملك فاروق بعد أن كانت بساتين تابعة للأوقاف

وأخيراً

حديث الطرب وفتحية أحمد

خطيب بدلة

كنتُ، محسوبكم، مستمتعاً بسماع أغنية «يا حلاوة الدنيا» التي أبدعها الثنائي العبقري، بيرم التونسي وزكريا أحمد، بصوت المطربة المصرية فتحية أحمد (1898- 1975)، فخطر لي أن آخذ فكرة موسّعة عن هذه المطربة. وجدتُ، خلال البحث، أنها كانت، في زمانها، مالئة الدنيا وشاغلة الناس، احتلت، في سنة 1926، المركز الأول بين مطربات العصر. وانتقلت إلى المركز الثاني بعد الصعود الكاسح لمجايلتها أم كلثوم. لم يبق موسيقار كبير في النصف الأول من القرن العشرين إلا وقدّم لفتحية أحمد بعضاً من ألحانه: أبو العلا محمد، محمد القصبجي، رياض السنباطي، أحمد صدقي، محمد عثمان، عبدو الحامولي، محمد عفيفي، داود حسني، فريد الأطرش، كامل الخلعي، سيد درويش..

كانت فتحية أحمد تحمل لقباً ملفتاً هو «مطربة القُطْرَين»، يذكّر بلقب مطران خليل مطران (1872- 1949) الذي أمضى جلّ حياته في مصر، واكتسب لقب «شاعر القُطرين». تقول فتحية أحمد، في مقابلة أجرتها معها إذاعةُ القاهرة قبيل وفاتها، إنها كانت «تتفسّح»، صيف كل سنة، في مدينة زحلة اللبنانية، وذات مرة التقت هناك أحمد شوقي ومحمد عبد الوهاب ومطران خليل مطران، وقال مطران لشوقي: توحة (فتحية) ليست لكم وحدكم، إنها مطربة القُطرين. واتفق الحاضرون، يومئذ، على ترويج هذا اللقب. كانت فتحية تنصح مطربي الجيل الجديد ومطرباته أن يحافظوا على أصواتهم باتباع ثلاث وصفات: الامتناع عن التدخين، الامتناع عن شرب الكحول، إعطاء الجسم حقه من النوم.. وكان حظّها من التعليم قليلاً. ومع ذلك كانت تحفظ الكلمات والألحان التي تُعطى لها وتؤدّيها على نحو بارع. وفي أفلام السينما كان المخرجون يأتون بممثلة أخرى تغنّي بصوت فتحية أحمد، (دوبلاج). وفي نهاية الأربعينات، شاركت في المسرحية الغنائية «يوم القيامة»، وقد أضيفت أغنية «يا حلاوة الدنيا» إلى النص المسرحي لأجل أن تغنّيها بصوتها.

كان معظم مطربي مطلع القرن العشرين في مصر من مشايخ الدين، ومعظمهم يحمل لقب الشيخ. السبب أن الأفراح الريفية، والصعيدية بشكل خاص، كانت موالد تقدّم فيها الأناشيد والتواشيح والمدائح النبوية. ومعلوم لدى حضراتكم أن أم كلثوم هي ابنة الشيخ المؤذن إبراهيم سيد البلتاجي الذي كان يصحبها معه، وهي طفلة، لتغنّي بصوتها الأسطوري. وكان هذا حال الملحن الكبير رياض السنباطي الذي يروي، في مقابلة قديمة مع تلفزيون الكويت، إنه كان يرافق أباه الشيخ المنشد وهو صغير إلى الموالد، واستعذب السامعون صوته، وأطلقوا عليه لقب «بلبل المنصورة».. أما والد فتحية أحمد فهو الشيخ أحمد الحمزاوي الذي كان مطرباً ذا صوتٍ جميل، ولكنه يميل إلى المرح والفكاهة. وقد استعان بمطربيْن فكاهييْن، وشكلوا ثلاثياً مرحاً أطلقوا عليه اسم «الشيخ كعبولا». وكان من أشهر إبداعاتهم أغنية بعنوان «كعبولا الخفة»، ولهذه الأغنية أهمية استثنائية، فقد اقتبس الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب لحنها، وغنّى عليه قصيدة أحمد شوقي «مضناك جفاه ومرقده»! هذا يقودنا إلى فكرةٍ مهمةٍ اسمها الاقتباس. محمد عبد الوهاب، مثلاً، كان نهراً جارياً من الألحان، ومع ذلك اقتبس أغنية «بدنا بحرية يا ريس» التي يغنّيها وديع الصافي من الفنان اللبناني الساخر عمر الزعنّي. وسيد درويش، المبدع المجدد الأكبر كان قد اقتبس معظم ألحانه الشهيرة (بحسب الكاتب والباحث، صقر أبو فخر، في مقالةٍ في «ضفة ثالثة») عن عثمان الموصلي، وزكي ناصيف يعترف، في إحدى مقابلاته التلفزيونية، بأنه اقتبس أغنية «طلوا حبابنا طلوا» ذات الشهرة الواسعة من أغنية شعبية فكاهية، تقول كلماتها: قام الدب تـ يرقصْ، قتل شي سبعة أنفسْ. وأما أغنية لولو لو لو، لولالاي، الله محيي شوارعكِ يا بلادنا المعمورة، فقد اقتُبست عن أغنية «مفشكلة» لسكّير حلبي، يقول فيها: الله محيي شواربكِ يا جمجمة خاروفا.

> كان حظّها من التعليم قليلاً. ومع ذلك كانت تحفظ الكلمات والألحان التي تُعطى لها وتؤدّيها على نحو بارع

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**